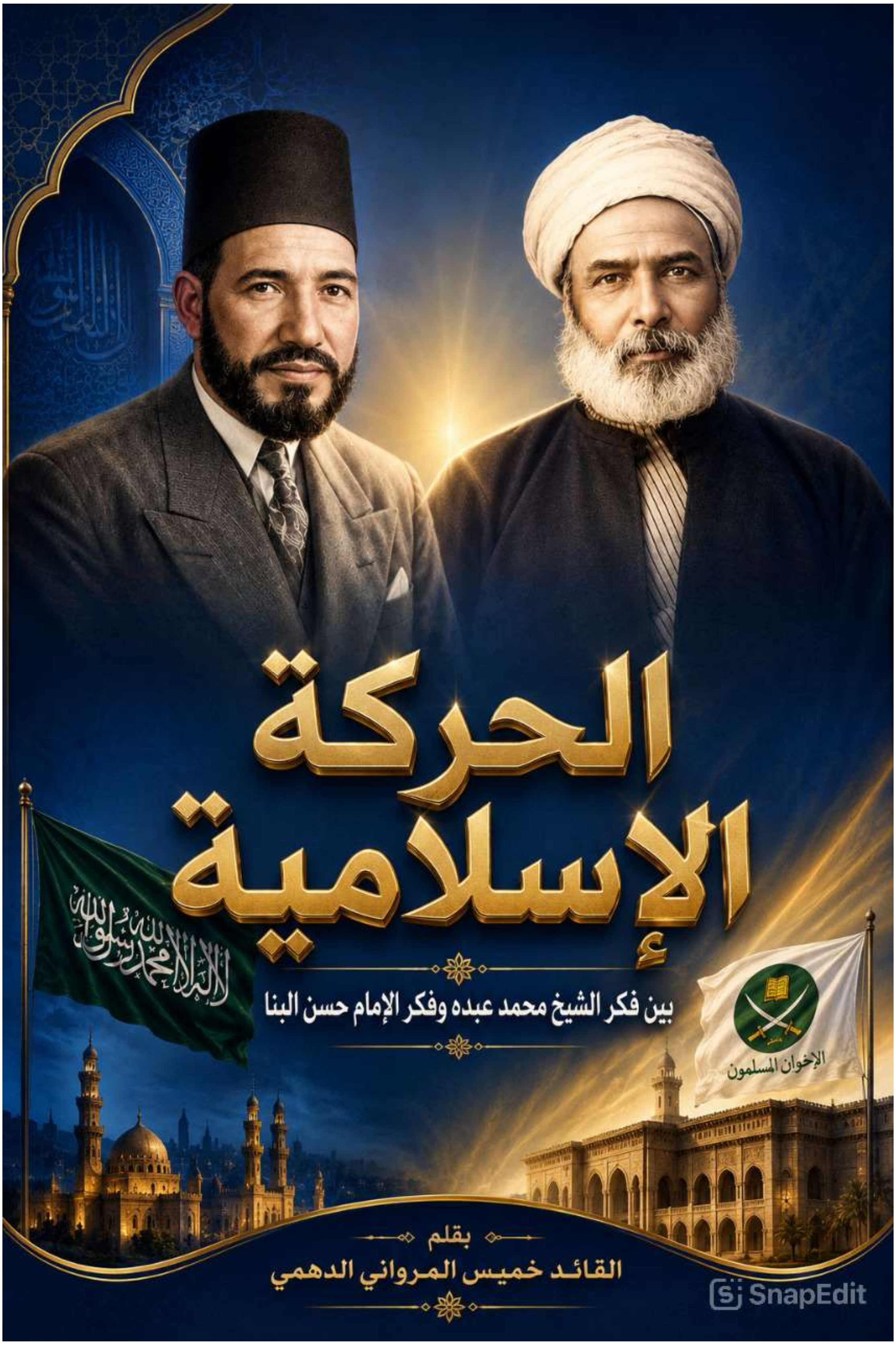

الحركة
الإسلامية
بين فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام حسن البنا
الإخوان المسلمون
بقلم
القائد خميس المرواني الدهمي
SnapEdit


دار غرب المتوسط
للنشر والتوزيع

الحركة الإسلامية

بين فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام حسن البنا

بقلم

الشيخ خميس المرواني الدهمي

(مسفر الجوفي رحمه الله)

الفهرس

المقدمة..3
أولا: العلاقة مع الغرب في فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام البنا..7

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعتبر الشيخ محمد عبده والإمام حسن البنا من أهم الشخصيات الإسلامية المعاصرة التي أثرت بشكل واضح في الفكر الإسلامي المعاصر سلبًا أو إيجابًا حيث استطاع كل منهما من بلورة رؤية فكرية خاصة، استطاعا من خلالها أن يوجدا الكثير من الأنصار والمؤيدين، وكانت لكل منهما آراؤه الخاصة في كثير من المسائل الفكرية والفقهية، والتي ظهرا فيها كضدين متناقضين نظرًا لاختلاف الخلفية الفكرية التي يستند عليها كل منهما، ويهمني في هذه التناوله أن أضع مقارنة بين الاثنين في تناولهما لبعض هذه القضايا الفقهية والفكرية، أرجو أن تكون موضوعية قدر الإمكان معتمدًا في ذلك على ما سطرته أيديهما من مؤلفات وكتب وما نقلة عنهما المفكرين الثقات، وفي هذا السياق سأقوم أولا بمناقشة المسألة التي أريد طرحها من منظور محمد عبده وآتي بأقواله فيها ثم أعود وأناقشها من منظور الإمام البنا وإرثه الفكري ثم أحاول بعد ذلك استكشاف حال الحركة الإسلامية اليوم وخصوصا الإخوان المسلمين فننظر هل لا يزالون على نهج الإمام البنا ويتبعون

أفكاره كما يدعون نسبتهم إليه ؟ أم أنهم يتبعون أفكار الشيخ محمد عبده ويتبنونها في الواقع العملي وسندلل من الواقع بنماذج من مواقف حركة الإخوان الأخيرة وأي الخلفيتين الفكريتين تستند عليها في اتخاذها لتلك المواقف وسأترك للقارئ الكريم الحكم بعد ذلك وله الحرية في استنتاج ما يراه مناسبًا داعيا إياه إلى تأمل قوله تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب:5].

أما لماذا البحث في فكر هذين الرجلين ؟ فلأن حركة الإخوان المسلمين وبحسب متابعتي وقراءتي المتواضعة عنها لا تخرج في الجملة في أهدافها ووسائلها وأطروحاتها عن أفكارهما فهي تراوح بين أفكار الشيخ محمد عبده وأفكار الإمام البنا وإن بدت أخيرًا أقرب إلى الأول فكرًا ومنهجًا وسلوكًا، وفي اعتقادي الشخصي فإنها حين تدعي نسبتها للإمام البنا فإنها في الواقع تتبع أفكار محمد عبده وتقتفي أثره ولهذا فلن أكون مخطئًا إن قلت إن أتباع محمد عبده داخل حركة الإخوان أصبحوا أكثر عددًا وحضورًا من أتباع البنا نفسه، وكاتب السطور عضوا في هذه الحركة وجد نفسه متأثرًا كغيرة من الشباب بشخصية الإمام البنا والشهيد سيد قطب ومن جاء بعدهم من رموز الحركة ودعاتها كالشيخ الشهيد عبد الله عزام والشيخ عبد المجيد الزنداني والشيخ سعيد حوى وغيرهم وما يطرحونه من أفكار وينادون به من أهداف كان لها أكبر الأثر في انضمام أكثر الشباب إلى حركتهم وجماعتهم ولا يزال يتذكر كيف كان ينظر بفخر إلى صورهم وأقوالهم المأثورة عنهم والتي كانت تزدان بها

جدران المعهد العلمي الذي كان يدرس فيه في نهاية ثمانينيات القرن الماضي، فقد كانت شعارات الحركة الجذابة المرصوصة في كل زاوية من زوايا ذلك المعهد والتي كنا نرددها كل صباح مبعث فخر لكل طالب أمثالي وعنوان أمل بقرب قيام دولة الإسلام ...نعم هكذا كنا نردد، الله غايتنا والرسول قدوتنا والجهاد سبيلنا....الخ، وكنا نعلل أنفسنا بالآمال متمثلين بقول الطغرائي:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

فما أحلى تلك الأحلام وما أجمل تلك الآمال، وما أسوأها وأشد وقعها على النفس حينما تتحول إلى سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء!! وعموما فإن ما حدث من تغيير في أفكار هذه الحركة وما طالها من عبث في منهجها وأهدافها وما أصبحت عليه من بعد عن تلك الأفكار والأهداف يدعونا للوقوف بتأمل وبعد نظر لسبر أغوار المشكلة ومحاولة الإحاطة بها من كل جوانبها، وذلك بمعرفة أصل الداء أولا قبل وصف الدواء ورد الفرع إلى أصله، وتسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية، وأرى أن الضرورة ملحة لمعرفة كيف تم هذا الانحراف داخل الحركة ؟ وما هي أسبابه؟ وكيف تغلغل داخلها حتى أصبح هو السمة البارزة لها ؟! وما هي أبعاد هذا الانحراف ؟ومن هو المستفيد منه ؟! وما هي تأثيراته على العمل الإسلامي ككل، وكلها أسئلة بحاجة إلى إجابة عنها! لنزيح بذلك الغشاوة عن أذهان الكثيرين، ونوضح الحقيقة للكثير من المخدوعين ولا أدعي أنني امتلك الآليات

الكافية لفعل كل هذا إلا أني كآحاد أبناء هذه الحركة ملزم أمام الله أولا ثم أمام ضميري ونفسي لفعل ما أستطيع فعله مما أراه حقا، ومن هنا جاءت كتابة هذه السطور ولعل في ذلك دعوة تصحو بها ضمائر بعضهم.

أما القضايا التي أريد مناقشتها في هذا البحث فهي كالتالي:[1]

1. **العلاقة مع الغرب في فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام البنا**: وهذه في تقديري هي أم القضايا فإن ما جاء بعدها من القضايا إنما هو تبعا لها. فبقدر ما كان قرب الشيخ (محمد عبده) من الغرب ونظرته إليهم واعتزازه بقيمهم بقدر ما كان تسويغه لأطروحاتهم الأخرى وصبغها بالشرعية الدينية.
2. **الديمقراطية والشورى في فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام البنا**.
3. **المرأة في فكر محمد عبده وفكر الإمام البنا**، ولأن الحديث عن كل هذه القضايا سيطول مما يزيد من حجم هذا البحث وهو ما لا نرومه في هذا المقام فسأخصص الحديث فيه عن القضية الأولى وهي "العلاقة مع الغرب في فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام حسن البنا " وسأفرد للقضايا

([1]) الكاتب رحمه الله عرض القسم الأول فقط في هذا الكتاب (1. العلاقة مع الغرب في فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام البنا)

الأخرى رسالة خاصة بإذن الله وأسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه إنه سميع مجيب.

أولا: العلاقة مع الغرب في فكر الشيخ محمد عبده وفكر الإمام البنا

هو الشيخ محمد عبده بن حسن آل التركماني، 1849- 1905م فقيه، مفسر، متكلم، مارس التعلم، واشتغل بالسياسة والقضاء، له مؤلفات، صاحب نزعة عقلية، وميول غربية" كان مفتيا لمصر إبان الاحتلال الانجليزي، توفي بالإسكندرية سنة 1323هـ[2] ويعد الشيخ محمد عبده أبرز مؤسسي المدرسة العقلية الحديثة على الإطلاق وأهم رموزها، والمدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلًا جديدًا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتًا كبيرًا في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصى من تلك النصوص على التأويل[3].

([2]) انظر: معجم المؤلفين 272/10، الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين ص 63.

([3]) حوار مع الغزالي د/سلمان العودة

كان من أبرز تلاميذ الأفغاني، وشريكه في إنشاء مجلة "العروة الوثقى"، يقول الدكتور فهد الرومي: "لئن كان السيد جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة، فإن محمد عبده هو الذي أقام صروحها ودعا إليها، ونشرها بين الناس، فكان بحق هو صاحبها وهو أستاذها وإمامها الأول، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه"[4].

وقد فاق عبده شيخه في مسألة تطويع الإسلام وتشكيله بما يوافق حضارة الغرب وثقافته، نظراً لخلفية عبده الدينية التي افتقدها الأفغاني.

وكانت له صداقة مع اللورد كرومر والمستر بلنت، ولقد كانت مدرسته – ومنها رشيد رضا – تدعو إلى مهاجمة التقاليد، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب[5]، كما دعا الشيخ محمد عبده إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه. ولهذا فقد أصبحت مهمة محمد عبده بعد أن عاد من المنفى -كما يقول الدكتور محمد محمد حسين- : "التقريب بين الإسلام وبين الحضارة الغربية، واتخذ اتجاهه هذا أشكالًا مختلفة؛ فظهر أحيانًا في صورة مقالات أو مشاريع أو برامج تدعو إلى إدخال العلوم العصرية في الجامع الأزهر. وظهر تارة أخرى في صورة تفسير لنصوص الدين من قرآن أو حديث يخالف ما جرى عليه السلف في

([4]) منهج المدرسة العقلية الحديثة د/فهد الرومي ص 124

([5]) الموسوعة الميسرة .الندوة العالمية للشباب الاسلامي

تفسيرها، ليقرب بها أقصى ما تحتمله، بل إلى أكثر مما تحتمله في بعض الأحيان من قُرب لقيم الغرب وتفكيره؛ لكي يصل آخر الأمر إلى أن الإسلام يساير حضارة الغرب، ويتفق مع أساليب تفكيره ومذاهبه[6]. يقول اللورد كرومر في تقريره السنوي إلى الحكومة البريطانية عام 1905م: "إن معرفته بالشريعة الإسلامية - أي محمد عبده - وآراءه الحرة المستنيرة تجعل التعامل معه عظيم الجدوى، إنه وتلاميذ مدرسته لخليقون بأن يقدم لهم كل عون ورعاية ودعم نظرًا لما يقومون به من ردم للهوة الفاصلة بين الإسلام والغرب، إنهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي [7]".

ويمكن تحديد ما تجتمع عليه آراء تلك المدرسة في كلمة واحدة هي " التطوير" أو العصرانية كما تترجم عن الإنجليزية Modernism ما تعنيه من تناول أصول الشريعة وفروعها بالتعديل والتغيير، تبعًا للمناهج العقلية التي اصطنعها الغرب حديثًا، أو ما تُمليه عقليات أرباب ذلك المذهب، التي تتلمذت لتلك المناهج. ولا يسلم من هذا التطوير أمر من أمور الشريعة كأصول الفقه والحديث أو التفسير أو مسائل الفقه كالحجاب والطلاق أو تعدد الزوجات، والحدود أو الطامة التي عرفت بالتقارب بين الأديان[8].

(6) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/ محمد محمد حسين

(7) الإسلام والحضارة الغربية د/محمد محمد حسين والمنار المجلد 11 الجزء 2

(8) أصول وتاريخ الفرق جمع وترتيب /مصطفى محمد مصطفى

وهي كذلك إحياء للمنهج الاعتزالي في تناول الشريعة، وتحكيم العقل فيما لا يحتكم فيه إليه وفي هذا المعنى يقول محمد عبده: " اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلًا ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقى في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، والثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل"[9].

ويقصد محمد عبده بالقلة الذين لا ينظر إليهم "أهل ألسنه والجماعة" القائلين بتقديم النقل على العقل عند تعذُّر الجمع بينهما، مع التأكيد على أن المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط كما ذكر ذلك الإمام بن تيمية[10] وغيره من أعلام السنة الثقات الأثبات[11] . ويبرز هنا ما يروجه أرباب هذا الفكر من افتراءات ضد أهل السنة والجماعة، ومن ذلك قولهم أن أهل السنة والجماعة كانوا يقفون بالمرصاد لمحاولات إعمال العقل في مجال الطبيعة والحياة بحرية وانطلاق، وهو أمر ما كان في يوم من الأيام، وإنما يشهد التاريخ أن الصراع بين أهل السنة وغيرهم من الفرق الضالة كان بسبب إدخال العقل في مجال الغيب أولًا، ومحاولة تحكيمه في نصوص الشرع الثابتة التي تواجه الحياة البشرية بكليات وقواعد قد رضيها الله

([9]) انظر الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص56 والأعمال الكاملة جمع محمد عمارة.

([10]) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام: ابن تيمية ج1 ص147 : دار الكتب العلمية – بيروت – تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن.

([11]) يقول الإمام ابن القيم: (فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح، ورمي بهذه العقول تحت الأقدام، وحطت حيث حطها الله وأصحابها) الصواعق المرسلة الجزء 2 ص 791 دار العاصمة . الرياض تحقيق د/علي محمد الدخيل الله.

سبحانه لخلقه ثانيًا، أما في مجال العلوم الطبيعية والتجريبية فعلى أمثال هؤلاء المفسدين إبراز دليل واحد يستدلون به على وقوف أهل السنة والجماعة في وجه تلك العلوم أو عدم إعمال العقل فيها....؟

يقول الشيخ سفر الحوالي: "وقد يكون أخطر آثار محمد عبده التي تعد ركيزة من ركائز العلمانية في العالم الإسلامي: إضعاف مفهوم (الولاء والبراء)، و(دار الحرب ودار الإسلام)؛ إذ كان الشيخ أعظم من اجترأ عليه من المنتسبين للعلماء، لا بتعاونه مع الحكومة الإنجليزية الكافرة فحسب، ولكن بدعوته الصريحة إلى موالاة الإنجليز وغيرهم - بحجة إن التعاون مع الكافر ليس محرمًا من كل وجه —وبدعوته إلى التقريب بين الأديان[12]–، والتقريب بين الأديان دعوة رعتها دوائر الاستخبارات الغربية وبرز عدد من الدعاة إلى هذه الفكرة في البلاد الإسلامية منهم عبد الرحمن الكواكبي الذي يقول في كتابة طبائع الاستبداد:"يا قوم وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين أدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد، وما جناه الآباء والأجداد، فقد كفى ما فعل ذلك على أيدي المثيرين، وأجلكم من ألا تهتدوا لوسائل الاتحاد وأنتم المتنورون السابقون، فهذه أمم أوروبا وأميركا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السياسي دون الإداري...

[12] العلمانية سفر الحوالي

دعونا ندبر حياتنا الدنيا، ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط (!) دعونا نجتمع على كلمات سواء، ألا وهي فلتحيي الأمة، فليحيي الوطن، فلنحيي طلقاء أعزاء"[13].

وقد كان الشيخ محمد عبده كذلك من أوائل الداعين إلى التقارب بين الأديان وفي هذا المعنى يقول:"نستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل، فتهزم له ظلمات الغفلة، فتصبح الملتان العظيمتان: المسيحية والإسلام وقد تعرفت كل منهما على الأخرى، وتصافحتا مصافحة الوداد، وتعانقتا معانقة الألفة، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين" ويقول- أيضًا -: "وأنا نرى التوراة والإنجيل والقرآن ستصبح كتبًا متوافقة، وصحفًا متصادقة يدرسها أبناء الملتين ويوقرها أرباب الدينين، فيتم نور الله في أرضه، ويظهر دينه الحق على الدين كله!!"[14] وقد كان كلامه السابق جزء من رسالة وجهها إلى أحد رجال الدين النصارى هو القس إسحاق طيلر جاء في مطلعها: "كتابي إلى الملهم بالحق! الناطق بالصدق! حضرة القس المحترم إسحاق طيلر أيده الله في مقصده! ووفاه المذخور من موعده !! " إلى أن قال: "وإنا لنهنئك على هذه البركة العظمى التي اختصك الله بها من بين قومك ..."الخ.

وقد تجاوز تعاون الشيخ محمد عبده مع الإنجليز المحتلين لمصر إلى التعاون مع الجواسيس المستشرقين في إنكلترا نفسها، حيث تتضح ثقتهم المطلقة به، وتعاونه

---

13 طبائع الاستبداد (ص 112-113)

([14]) الأعمال الكاملة لمحمد عبده : جمع محمد عمارة (355/2-356)].

البعيد معهم في الرسالتين المبعوثتين إلى "المستر بلنت" جوابًا على سؤال الأخير عن رأي المفتي في الحالة السياسية الجديدة في مصر، وعن رأيه في الدستور المناسب لمصر. وقد أورد محمد رشيد رضا نص الرسالتين في الجزء الأول من تاريخه (ص899 – 902) وورد في الرسالة الثانية الفقرة الثالثة قوله: "إذا فرض إن كان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرؤوسون من المصريين فإنه ينبغي أن يعطى هؤلاء المرؤوسون المصريون أو الوزراء الثانويون سلطة تسمح لهم بأن يفصلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما أشبه ذلك تحت مراقبة الوزراء الأصليين بحيث لا يكون الموظفون المصريون مجرد ألعوبة في أيديهم كما هو الحال الآن".

وهذا هو رأي الشيخ الذي نعت بمصلح العصر[15] ويظهر هنا إن الشيخ محمد عبده لا يرى بأسًا في التعاون مع المحتل وتقلد المصريين للوزارات في ضل حكومة الإنجليز المحتلة وكل ما هنالك أنه يطالب بإعطاء الموظفين المصريين صلاحيات واسعة تحت مراقبة الوزراء الأصليين "الإنجليز"! ولم تقتصر محاولة إماتة الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال عند محمد عبده على بلاد مصر فقط بل كان يرسل النصائح بذلك إلى علماء الجزائر المحتلة حينذاك من فرنسا، ومن ذلك قوله للشيخ الجزائري عبد الحميد سمايا سنة 1903م بعد أن نصحه: "الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العمل، والجد في السعي؛ حتى يعيشوا في سلام وراحة مع من

(15) الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم /غازي التوبة.

يجاورهم من أهل الأمم الأخرى" !! فالمهم عند عبده ومن يتبعه من العصرانيين! "أن يعيش في سلام وراحة" وإن كانت بلاده محتلة مستعبدة من عبّاد الصليب![16]

ومن هنا أتت ثقة الإنجليز به وسعوا إلى تمكين رجاله وأتباعه من إدارات الحكومة المختلفة، يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: "وقد ظل أصدقاء محمد عبده وأنصار دعوته يكثرون بما يلقون من تشجيع الإنكليز، الذين كانوا يمكنون لهم في إدارات الحكومة وفي مناصب الدولة الكبرى"[17].

ويقول اللورد كرومر: "إنني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة، ولكنه عمل شاق، فضلًا عن العداء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين، كان لسوء الحظ على خلاف كبير مع الخديوي، ولم يتمكن من البقاء في منصب الإفتاء، لولا أن الإنكليز أيدوه بقوة. وقد أثنيت عليه في تقاريري السنوية ثناءً عظيمًا، وأنا أعظم الناس أسفًا حقيقيًّا على وفاته".[18]

وبعد وفاة محمد عبده استمر الدعم لتلاميذه وتياره الذي تمثل في حزب "الأمة". يقول أحد الباحثين الأجانب: "لقد تلقى حزب الأمة عونًا حقيقيًا وأكيدًا من اللورد كرومر[19] "ولقد خرج محمد عبده بآراء عديدة تجعل الإسلام متماشيًا مع الحضارة الغربية ولقد كانت أفكاره – كما يقول سفر الحوالي – حلقة وصل بين العلمانية الأوربية والعالم الإسلامي ومن ثم باركها

([16]) العصرانية سليمان الخراشي.

[17] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/محمد محمد حسين

[18] مجلة المنار ,المجلد 11 ,الجزء2 ص95

[19] بين اليسار واليمين/ سعد زغلول نقلا عن العصرانية للخراشي

المخطط الصهيوني الصليبي واتخذها جسرًا عبر عليها إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة الإسلامية والتحاكم إلى القوانين الوضعية المستوردة واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية وهو ما تم جمعه تحت ستار الإصلاح[20]. ومن يقرأ عن حياة محمد عبده ويأخذ شخصيته من كل جوانبها يجد إن الشيخ كان شغله الشاغل هو تحسين صوره الإسلام في أعين الغرب والنهوض بالأمة نهضة مادية كالتي كانت في أوربا يومها وربما هذا هو القاسم المشترك بينة وبين من يحاول أحيا دعوته اليوم"[21].

يقول الشيخ الشهيد عبد الله عزام: " وأصدق كلمة في محمد عبده وشيخه كلمة الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام: "فلعل الشيخ محمد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفن– زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد" ويقول شيخ الإسلام مصطفى صبري –كذلك "أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده على الدين فقرب كثيرًا من الأزهريين إلى اللادينين خطوات ولم يقرب اللادينين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر

([20]) الحوالي المرجع السابق.

([21]) مشروع محمد عبده وزرع الشوك دراسة/ محمد القصاص.

بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني. كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر"[22] .

ولا غرابة بعد هذا أن يقول عنه اللورد كرومر: "إن حزب الشيخ محمد عبده هو الحزب المعتدل في مصر"[23].

وهكذا نجح الغربيون في صناعة هذا التوجه الفكري الذي أخذ بالانتشار والتوسع، ولاحظ أخي الكريم إن هذه الصفة الغربية "الاعتدال" هي نفس الصفة اليوم التي يريدها الغرب من الجماعات الإسلامية وتسعى هذه الجماعات إلى تحقيقها، فبقدر ما كان تحليها بسمات الاعتدال الأمريكية المطلوبة أكثر، كلما كانت فرصها للحكم أقوى، فقد عرف الغربيون ما للحركات الإسلامية من تأثير على الشعوب المسلمة وهالهم مدى تغلغل الإسلام في وجدان المسلمين على رغم ما بذلوه من جهود جبارة لعلمنة تلك المجتمعات وهالهم أيضًا فشل الأنظمة الحاكمة في فرض العلمانية بعد أن تحولت إلى ديكتاتوريات همها الأول الاستمرار في الحكم والاستئثار بمقدرات الشعوب إضافة إلى ما تمتلكه هذه الجماعات من خطاب هادف يكاد أن يحدث – ولو على المستوى البعيد – ثورة شاملة تطيح بهذه النظم المزروعة لحفظ مصالح الغرب، أمام هذه المعطيات لم يكن أمام صنّاع السياسة الغربيين إلا اعتماد صيغة تضمن بها اختراق تلك الحركات الإسلامية ولو فكريًا في أقل الأحوال ومن ثم إحلالها بديلا لتلك الأنظمة الديكتاتورية المتهالكة. والتي أصبحت عبئًا على الغرب نفسه، وقد بدأت الإدارة الأمريكية تخطو خطوات

([22]) القومية عبدالله عزام.

([23]) مجلة المنار المجلد الحادي عشر الجزء الثاني ص 203.

جدية وعملية بصدد اعتماد احتواء ما يسمى بالجماعات الإسلامية، وإحلالها كمرحلة انتقالية ضمن عملية ديمقراطية تشوب صدقتيها كثير من علامات الاستفهام، بغية صناعة استقرار يتناسب مع مصالحها في المنطقة، تأتي هذه الخطوة بعد أن ثبت فشل سياسة الاعتماد على القوة العسكرية المهولة للولايات المتحدة في إرساء مشاريعها، ويهدف الغرب من إحلال تلك الجماعات بديلًا للأنظمة لكونها خير من ينفذ الأجندة والمخططات الغربية من جهة، وأفضل من يقوم بمحاربة المد الجهادي المتنامي من جهة أخرى، ذلك لأنها تتمتع بغطاء شرعي وشعبي، أما غطاءها الشرعي فلكونها تنتسب إلى الإسلام مع وجود من ينتسب إلى العلم في صفوفها، إضافة إلى اتكاءها على منظومة فكرية لها أصولها المستحدثة ودعاتها ومنظريها وبهذا خدعت الأمة وأقنعتها بأن انجرافها هذا خلف التوجهات الغربية أمر مسموح به في الإسلام، وله ما يعضده في الشريعة، وأما غطاؤها الشعبي؛ فلوجود عدد لا بأس به من الأنصار والمؤيدين، المتأثرين أصلاً بالأفكار والشعارات الجذابة التي ترفعها تلك الجماعات، والتي لا تزال تقتات عليها وتعوِّل عليها في الاستقطاب الجماهيري، برغم عدم تبنيها لتلك الأفكار في الواقع العملي، وهاتين الصفتين مهمتين جدًا للحصول على الدعم الغربي، فقد حددت مؤسسة راند في دراسة خاصة صدرت في أيلول سبتمبر 2008م بعنوان "القضاء على المجموعات الإرهابية" الأصناف التي يجب دعمها في إشارة إلى من أسمتهم بالشيوخ المعتدلين والحكماء المتعاونين وهو حديث ينطبق على غيرهم من التنظيمات والأحزاب حيث قالت: "من الممكن تقديم الدعم المادي لهؤلاء بطرق غير مباشرة لحماية شرعيتهم ومصداقيتهم الشعبية. وأضافت يمكن على سبيل المثال تخصيص التمويل للأجهزة

الإعلامية أو الأحزاب السياسية أو النوادي الطلابية أو الاتحادات العمالية أو أي طرف يتمتع بالميزتين التاليين:

1) أن يتمتع بقاعدة شعبية لا بأس بها في المجتمع.

2) وأن يكون رافضاً لفكرة الإرهاب ولعمل المتمردين وأيديولوجيتهم المتطرفة "[24] .

ومن هنا بدأ خيار الغرب للتعاون مع الإخوان والتفاهم معهم على ترتيبات المرحلة المقبلة والموضوع ليس عجيبًا ولا غريبًا كما قد يبدو لدى البعض، بل إنه من الناحية الاستراتيجية البحتة فإن خيار تعاون الأمريكيين مع الإخوان أو على الأخص مع التيارات المتطورة عنهم قد يكون هو الخيار الأنسب والأكثر معقولية بالنسبة للأهداف الأمريكية في المنطقة من جهات كثيرة فما تستهدفه البرجماتية الأمريكية هو وجود نمط من الحكم يتوافق مع أهدافها، ويكون له قبول جماهيري يحقق الديمقراطية المدَّعاة، فمن الناحية الفلسفية البحتة فإن الدين (أي دين؟) يكون مقبولًا لدى البرجماتية الأمريكية بقدر ما يحققه من مصالح، ونظرًا لارتباط جماهير أمتنا بالإسلام فإن استعداد أمريكا للتعاون يكون مهيأ مع أكثر التيارات قدرة على تطويع المفاهيم الإسلامية للتوافق مع المصالح الأمريكية، دون أن تفقد مع ذلك شعبيتها الجماهيرية، ومراجعة بسيطة للتيارات الإسلامية الفاعلة، يتكشف لنا أن الإخوان المسلمين هم أكثر التيارات المرشحة لذلك،

([24]) دراسة مؤسسة راند بعنوان القضاء على المجموعات الإرهابية للمؤلف/ سيث جونز.

حيث غدت الكثير من الأطروحات الغربية كالديمقراطية، ومبدأ تداول السلطة، والمجتمع المدني، بفضل الاجتهادات الإخوانية أطروحات إسلامية[25].

والناظر بأدنى تأمل إلى تلك الجماعات الإسلامية وعلى رأسهم الإخوان المسلمين لاسيما بعد أحداث سبتمبر يرى بأن دورها لم يقتصر على القيام بهذا الدور المشبوه في تغريب المجتمع المسلم وإضفاء صبغة الشرعية الدينية على أجندة المشروع الغربي التغريبي للأمة كالديمقراطية والتعددية وحقوق المرأة والحرية المنفلتة للرأي والأديان بل وصل الأمر ببعض تلك الجماعات إلى أن تقوم بإضفاء الشرعية على المحتل الكافر لديار الإسلام بمشاركتها جنبًا إلى جنب مع المحتل الصليبي في احتلال ديار الإسلام وهتك حرمات المسلمين بعد أن خدرت الأمة الإسلامية عما يحاك لها وخذلتها عن الجهاد المفروض عليها وكل ذلك يتم تحت مسمى الإسلام المعتدل أو إسلام الوسطية؟! وكل هذه المعطيات جعلت الغرب يفكر بجدية حول إمكانية إحلال هذه الجماعات المعتدلة بديلًا للأنظمة فليس هناك ما يمنع بعد كل هذا أن تكون هذه التيارات الإسلامية المعتدلة بديلًا للأنظمة الحاكمة المتهالكة، طالما وهي ستؤدي الدور المطلوب منها بطريقة أفضل من هذه الأنظمة ؟! لقد أدركت أمريكا ضعف الدكتاتوريات الطاغية للأنظمة العربية، وأنه لم يعد بمقدورها أن تواكب التطلعات والإصلاحات الديمقراطية في المنطقة، وأن التمسك بهذه الأنظمة العربية – على ديكتاتوريتها وتخلفها رغم عمالتها – سيفقد أمريكا كثيرًا من المصداقية نحو الشعارات التي ترفعها ذات العلاقة بإصلاح ودمقرطة الشرق الأوسط وفق

---

[25] دراسة بعنوان: "هل يتبنى الغرب الإخوان بديلاً لبعض الأنظمة العربية ل محمد إبراهيم مبروك وهو باحث إسلامي محسوب على "حزب العمل" وله كتابات في الرد على التيارات العلمانية، وقد نشر دراسته هذه في مجلة المحايد.

رؤيتها، وفي المقابل أدركت تزايد نمو الانتماء والشعور الديني لدى الشعوب المسلمة، الذي يحملها على المطالبة بحقوقها التي اغتصبها طغيان الحاكم وحزبه، ونزعها منه، كل هذه دفعت بالغرب للاعتراف والتعامل مع هذا الاتجاه الإسلامي المعتدل ناهيك عما تتمتع به هذه التيارات المعتدلة من امتيازات لا يوجد في غيرها من التيارات الأخرى ومن ذلك قدرتها على امتصاص الغضب الشعبي في الشارع الإسلامي الغاضب من السياسات الغربية في المنطقة، وتسويغها للأطروحات الغربية وصبغها بالشرعية الدينية! وهكذا أدركت أمريكا هذه المعادلة والتي ألزمتها – حتى لا تفقد الجميع، وتتهاوى شعاراتها البراقة في المنطقة – أن تعترف وتتعاون مع التيارات الإسلامية المعتدلة بزعمهم وقد صدرت مؤخرًا عن مراكز الأبحاث في الغرب ومواقع صنع القرار العديد من الدراسات والتقارير والخطابات التي تدعو السياسات الغربية إلى هذا التوجه ومن أهم تلك الدراسات ما صدر عن مؤسسة راند[26] لأبحاث الأمن القومي الأمريكي من تقارير أهمها تقريرًا بعنوان "وصفة جديدة لبناء شبكات الإسلاميين المعتدلين" وتقريرًا آخر بعنوان "الإسلام الديمقراطي المدني"، وكلاهما تقدم رؤية أمريكية عما هو مطلوب فعله من قبل الإسلاميين ليحوزوا صفة الاعتدال الأمريكية وتقدم تصورًا عن الإسلام الذي تريده أمريكا...ومن يقرأ هذه التقارير سوف يلحظ بوضوح أنها تخلط بشكل مستمر وشبه متعمد ما بين "الإسلاميين" و"الراديكاليين" و"المتطرفين"، ولكنها تطالب بدعم أو خلق تيار "اعتدال" ليبرالي مسلم جديد أو Moderate and liberal Muslims، وتضع تعريفات محددة لهذا "الاعتدال الأمريكي"، بل وشروط معينة من

([26]) تنبع أهمية هذه التقارير من ان المؤسسة التي أصدرتها هي مؤسسة راند التي تعد إحدى أهم خزانات التفكير Think tanks المؤثرة في عملية صناعة القرار في الولايات المتحدة.

تنطبق عليه فهو "معتدل" – وفقًا للمفهوم الأمريكي للاعتدال، ومن لا تنطبق عليه فهو متطرف. وقد حددت هذه التقارير نقاط رئيسية يمكن من خلالها تحديد ماهيِّة الإسلاميين المعتدلين أمريكياً وهي:

1. القبول بالديمقراطية الغربية التي تعني رفض فكرة الدولة الإسلامية التي يتحكم بها رجال الدين فالمسلم المعتدل يؤمن بأن لا أحد يملك الحديث نيابة عن الله.

2. القبول بالمصادر غير المتعصبة في تشريع القوانين وأن أهم فرق بين المسلمين المعتدلين والمتشددين هو في الموقف من مسألة تطبيق الشريعة فالتفسيرات التقليدية للشريعة لا تتناسب مع المبادئ الديمقراطية ولا تحترم حقوق الإنسان.

3. احترام حقوق النساء والأقليات الدينية: وفي هذا الصدد تشير الدراسة إلى أن المعتدلين عليهم أن يكونوا أكثر قبولًا بالنساء والأقليات المختلفة دينيًا، ويرون بأن الأوضاع التمييزية للنساء والأقليات في القرآن يجب إعادة النظر فيها، نظرًا لاختلاف الظروف الراهنة عن تلك التي كانت موجودة إبّان العصر النبوي الشريف.

4. نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع: وهنا تؤكد الدراسة على أن الإسلاميين المعتدلين يؤمنون –كما هو الحال في الأعراف الدولية ومعظم الأديان – بفكرة "الحرب العادلة "، ولكن يجب تحديد الموقف من استخدام العنف ومتى يكون مشروعاً أو غير مشروع!.

5- التصالح مع الغرب، ومن ذلك القبول بالمصالح الأمريكية في المنطقة، والشراكة مع الولايات المتحدة في محاربة الإرهاب على المستوى السياسي والأمني.

6- الرؤية الليبرالية المحضة على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي، بما في ذلك الحريات السياسية والاقتصادية، والقبول بالعملية السلمية.

ولو أعدنا النظر لوجدنا إن هذه الهرولة من قبل الإسلاميين وعلى رأسهم الإخوان خلف التوجهات الغربية إنما هو محاولة منهم لحيازة صفة الاعتدال الأمريكية متخذين من فكر محمد عبده مستندًا شرعيا لذلك، وقد كرس حزب الإصلاح في اليمن هذه الشروط السابقة بلا استثناء وعمل جاهدًا على تحقيقها وقد أشبعنا هذا الموضوع بحثًا وتحليلًا ودراسة في غير هذا المقام[27] وقدمنا نماذج حية من مواقف الإصلاح في سبيل تحققها بهذه الشروط محاولة منهم للوصول إلى مرحلة "الإحلال" أي إحلالهم حكامًا بديلا للنظام الموجود كما هو الحال في تركيا وهو النموذج الذي يريد الغربيون تعميمه على بلاد الشرق الأوسط كما تصرح بذلك الإدارة الأمريكية حيث يجاهر الأمريكيون الآن في كل مناسبة بأن النموذج الديمقراطي التركي المعدل «المزعوم إسلاميته» هو النموذج الذي يرشحونه لتسيد المنطقة العربية.

([27]) انتظر كتابنا بعنوان "قراءة في مواقف الإصلاح ومدى تبعيتها للتوجهات الغربية " سيصدر قريبا.

مما تجدر الإشارة إليه وتلاحظه عين الراصد من أول وهلة هو حالة الوئام السائدة بين ما يسمى " بجماعات الإسلام المعتدل" و"التيارات العلمانية" فقد وصل التقارب بينهما إلى حد التماهي والانصهار يشهد على ذلك حالة التحالفات واللقاءات المشتركة التي تعقدها هذه الجماعات مع أحزاب عريقة في العلمانية ويبدو أن حالة العدوى لم تقتصر على الرموز السياسية في هذه الجماعات وإنما شمل الأمر الرموز الدينية أيضا التي أخذت على عاتقها تقنين هذه التحالفات وصبغها بالشرعية الدينية وقد رأينا في الأشهر الماضية على قناة الجزيرة مباشر وقائع مؤتمر هيئة علماء المسلمين وهم يعقدون مؤتمرهم في تركيا تحت صورة أتاتورك – ومعروفة هي حالة العداء التي يحملها الإسلاميين عموما لأتاتورك - حيث ظهرت الصورة فوق المنصة التي يقبع عليها رئاسة هيئة العلماء وعلى رأسهم د/ القرضاوي وهو ما يظهر إلى أي مدى وصلت حالة الانسجام بين الطرفين ويؤسفني أن أقول: إن هذه الجماعات الإسلامية باعتدالها المزعوم هذا قد اقتربت من أن تصبح أحزابًا علمانية، فهي حين ترفض العلمانية لفظًا فإنها تتبناها روحًا ومعنى، وحقيقة الأمر فإن ما كنا ننقمه على الأنظمة والأحزاب القومية والعلمانية نجد هذه الجماعات الإسلامية تمارسه على أرض الواقع، ففي حين كانت الأنظمة تمارس العلمانية وتتبناها بصورة سافرة لم تعد تنطلي على أحد إذا بهذه الجماعات تمارسها بعد أن أضفت عليها الصبغة الشرعية لتكون مقبولة لدى المجتمعات المسلمة وهو ما كان

يعنيه.."سميث" بقوله ...."إن العلمانية لن تروج في العالم الإسلامي إلا إذا فسرت تفسيرًا إسلاميًا مقبولًا"[28] وهو ما يقوم به فقهاء الإسلام المعتدل ودعاة الجماعات الإسلامية المعتدلة!!

وبعد عرضنا لموقف الشيخ محمد عبده من العلاقة مع الغرب والتعامل مع غير المسلمين نأتي إلى عرض موقف الإمام البنا رحمه الله من القضية نفسها، ففي حين كان محمد عبده لا يرى بأسًا في التعاون مع المحتل .. ويدعو إلى إعطاء الوزراء والمسئولين المصريين الموظفين في حكومة الاحتلال مزيدًا من الصلاحيات كما ورد ذلك في رسائله السابقة التي أوردها الشيخ رشيد رضا.....كان الإمام البنا يدعو صراحة إلى مواجهة الإنجليز المحتلين لمصر وإلغاء الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة معهم حيث يقول منتقدًا للذين لا يزالون يجرون خلف سراب المفاوضات:"إننا مازلنا مع الإنجليز حيث كنا لم نقدم خطوة، بل أن هذا الركود كان مدعاة إلى التساؤل والبلبلة لم يبق إذًا إلا (النبذ على سواء) بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة، ونقرر في صراحة إلغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات، ونعلن اعتبارًا أمة وادي النيل معهم في حالة حرب – ولو سلبية – وننظم حياتنا على هذا الاعتبار.

اقتصاديًا: بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا من العرب والمسلمين والدول الصديقة إن كانت.

---

(28) كلام سميث كان تعليقا على كتاب الشيخ علي عبد الرزاق "الإسلام وأصول الحكم" انظر الموسوعة الميسرة للأديان .

واجتماعيًا: تشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية.

وعلميًا: بتدريب الشعب كله تدريبًا عسكريًا حتى يأتي أمر الله.

وتهيأ نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة، كما تفعل الأمم إذا واجهت حالة الحرب الحقيقية[29]".

ولم يكتف بدعوته الصريحة لترك التفاوض وإلغاء المعاهدات مع الانجليز بل إنه حينما رأى التباطؤ من قبل الحكومة والملك وعدم الجدية من قبل الإنجليز في تنفيذ الاتفاقات التي بموجبها يتم انسحاب الإنجليز ذهب إلى تشكيل الجهاز الخاص والذي أصبح هو الذي يدير العمليات العسكرية ضد الإنجليز، وقد كانت معارك القتال ضد الإنجليز ومعسكرات التل الكبير خير شاهد على تضحية وجهاد الإخوان المسلمين ولا غرابة في هذا فإن الإمام البنا رحمه الله يرى أن من أهم أهداف الإخوان المسلمين تحرير الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وفي هذا المعنى يقول رحمه الله:"اذكروا دائما أن لكم هدفين أساسيين:

1 - أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان، لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر.

2 - أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس، وما لم تقم هذه

([29]) مجموع الرسائل للإمام البنا ص 333

الدولة فإن المسلمين جميعًا آثمون مسئولون بين يدي الله العلي الكبير عن تقصيرهم في إقامتها وقعودهم عن إيجادها[30]".

ويقول أيضا: "هدف الإخوان المسلمين يتلخص في كلمتين:

. العودة للنظام الإسلامي الاجتماعي.

. والتحرر الكامل من كل سلطان أجنبي.

وبذلك نستطيع أن ننقذ مصر من آثار هذه الويلات.

ولنا بعد ذلك آمال جسام في إحياء مجد الإسلام وعظمة الإسلام، يراها الناس بعيدة ونراها قريبة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:60]"[31].

بل إن الإمام البنا قد جعل من مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق "تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي . غير إسلامي . سياسي أو اقتصادي أو روحي[32].

وقد شنّع رحمه الله على المدرسة العقلية ودعاتها وبين حقيقة انحرافها فقال: "الواقع إن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الأوربي والانغماس فيه إلى الأذقان ولا يكفى بعض الناس أن ينغمسوا هذا

([30]) المرجع السابق ص112

([31]) مجموع الرسائل ص222

([32]) رسالة التعاليم للإمام البنا ص374

الانغماس في التقليد بل هم يحاولون إن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا إحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم الأوربية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة إحكامه استغلالًا سيئا يخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجًا كاملًا ويجعلها نظمًا أخرى لا تتصل به بحال من الأحوال ويهملون كل الإهمال روح التشريع الإسلامي وكثيرًا من النصوص التي لا تتفق مع أهوائهم هذا خطر مضاعف في الحقيقة فهم لم يكفهم أن يخالفوا حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية (الشرعية) لهذه المخالفة ويصبغوها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها أو لا يقلعوا عنها في يوما من الأيام"[33] .

.... وتحت قوله تعالى ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ كتب رحمه الله قائلا : " قد يقال إن الجهر بالعودة إلى نظام الإسلام مما يخيف الدول الأجنبية والأمم الغربية، فتتألب علينا وتتجمع ضدنا، ولا طاقة لنا بهم ولا قدرة لنا عليهم، وهذا منتهى الوهن وغاية الفساد في التقدير وقصر النظر .. وها نحن أولاء نرى هذه الدول وقد سايرناها في نظمها، وأخذنا بألوان حياتها، واتبعناها في تقاليدها، فهل أغنى ذلك عنا شيئا ؟! وهل دفع من كيدها ؟ وهل منعها من أن تحتل أرضنا، وتسلب استقلالنا وتستأثر بخيرات بلادنا، ثم تتجمع في كل مؤتمر أو مجتمع دولي ضد حقوقنا وتثير المشكلات والصعاب والعقبات في وجوهنا، ولا تتأثر إلا بشيء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط، ولا يعنيها بعد ذلك إلا أنها نصرانية، فقد رأيناها

([33]) مجموع الرسائل رسالة المرأة المسلمة /الإمام البنا.

في الحرب الماضية يحطم بعضها بعضا، وكلها مسيحية، وتتملق مع هذا دول الإسلام وأممه وشعوبه، وتتزلف إليه بمعسول وحلو الحديث، وهاهم أولاء جميعا يناصرون الصهيونية اليهودية وهي أبغض ما تكون إليهم لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة . وقد أصبح هذا المعنى معلوما في تصرفات كل الساسة الغربيين.

إذن فلن يجدينا شيئا عندهم أن نتنصل من الإسلام، ولن يزيدهم فينا بغضا أن نعلن التمسك به والاهتداء يهديه"[34].

وبعد عرضنا لموقف الفريقين من العلاقة مع الغرب نأتي إلى محاولة استكشاف موقف حركة الإخوان المسلمين الحالية وموقفها من الاحتلال الغربي للبلاد الإسلامية، ففي تقديري الشخصي أن خيار تعاون الغرب مع الإخوان الحالية لم يأت إلا بعد صدور آراء وفتاوى لرموز علمية وفكرية إخوانية لا تمانع من هذا التعاون .... فلو استعرضنا بعض ما يقوله الدكتور القرضاوي - المرجعية الفقهية الإخوانية الكبرى - وما يكتبه لوجدناه لا يبتعد كثيرًا عما يقوله الشيخ محمد عبده ويدعو إليه وقد أشرت إشارة عابرة – في هذا البحث – إلى بعض آراء القرضاوي المتعلقة بموضوعنا هذا ولم أناقشها فقهيًا – لعلمي أن هذه الطريقة غير مجدية مع عبدة ذلك الشيخ – بل نقلت من فتاويه نفسه ما ينقض هذه الفتاوي العميلة .

([34]) مجموع الرسائل.

فلم يعد أمام عبد " الشيخ " إن كان طالبًا للحق إلا أن يقر أن فتاوي شيخه، تصدر بدون الرجوع إلى دليل شرعي ولا أصل ديني، بل تصدر حسب رغبات الكافرين من يهود ونصارى، وصناع النظام الدولي الجديد ... فشبيها برسالة عبده السابقة إلى القس إسحاق طيلر كانت تعزية القرضاوي في البابا يوحنا بابا الفاتيكان، حيث يقول عن هذا البابا: " نقدم عزاءنا في هذا البابا – يعني بابا الفاتيكان – الذي كان له مواقف تذكر وتشكر له، لا نستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ما قدم من عمل صالح وأثر طيب!! وأن يجعل نشاطه في نشر دينه ومواقفه السياسية في موازين حسناته !! وأن يعوض الأمة المسيحية فيه خيراً[35]!!!!.

فلو قارنا بين هاتين الرسالتين للاحظنا إنهما ينطلقان من مشكاة واحدة، وما ذلك إلا لتشابه بضاعة القوم فكلاهما لا يريان النصارى كفارًا ولا يسمونهم بذلك وإنما أسموهم "بغير المسلمين" وقالوا نحن مؤمنون والنصارى مؤمنون بوجه آخر كما يقول الدكتور القرضاوي [36] .

ولا أدري على ماذا يدعو الله الدكتور القرضاوي أن يرحم بابا النصارى ؟! وعلى أي عمل صالح يرجو لبابا النصارى الرحمة والمغفرة ؟! وما هي المآثر والأعمال الطيبة

(35) بتصرف برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة بتاريخ. 3|4|2005.وانظر الحلقة مفرغة كتابة على موقع الجزيرة نت

(36) برنامج الشريعة والحياة : (في ظل الشريعة الإسلامية) 1997/10/12م وكان كلامه بالنص " فكل القضايا بيننا مشتركة فنحن أبناء وطن واحد، مصيرنا واحد، أمتنا واحدة، أنا أقول عنهم إخواننا المسيحيين، البعض ينكر علي هذا كيف أقول إخواننا المسيحيين؟ (إنما المؤمنون إخوة) نعم نحن مؤمنون وهم مؤمنون بوجه آخر !!، وقرر ذلك في كتبه ككتاب (فتاوى معاصرة).

لهـذا البـابا سـوى نشـره لعقيـدة التثليـث وملـة الشـرك بالله وإشـرافه علـى الحمـلات التبشـيرية والتنصـيرية في العـالم ؟ ومباركتـه للحمـلات الصـليبية الـتي أبادت ومـا زالـت تبيـد الملايـين مـن المسـلمين ؟! أكـل هـذه مـآثر طيبـة يسـتحق عليهـا البـابا الرحمـة والثـواب في نظـر الـدكتور القرضـاوي ؟!! ...و هـل نسـي القرضـاوي أم تناسـى قـول الله تعـالى ﴿ لَقَـدْ كَفَـرَ الَّـذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ هُـوَ الْمَسِـيحُ ابْـنُ مَـرْيَمَ وَقَـالَ الْمَسِـيحُ يَا بَـنِي إِسْـرَائِيلَ اعْبُـدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُـمْ إِنَّـهُ مَـنْ يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَقَـدْ حَـرَّمَ اللَّهُ عَلَيْـهِ الْجَنَّـةَ وَمَـأْوَاهُ النَّـارُ وَمَـا لِلظَّـالِمِينَ مِـنْ أَنْصَـارٍ (72) لَقَـدْ كَفَـرَ الَّـذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِـثُ ثَلَاثَـةٍ وَمَـا مِـنْ إِلَـهٍ إِلَّا إِلَـهٌ وَاحِـدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُـوا عَمَّـا يَقُولُـونَ لَيَمَسَّـنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مِـنْهُمْ عَـذَابٌ أَلِـيمٌ (73)﴾ [المائـدة] وأيـن يأتي القرضـاوي بقـول الله تعـالى ﴿لَقَـدْ كَفَـرَ الَّـذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ هُـوَ الْمَسِـيحُ ابْـنُ مَـرْيَمَ قُـلْ فَمَـنْ يَمْلِـكُ مِـنَ اللَّهِ شَـيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِـكَ الْمَسِـيحَ ابْـنَ مَـرْيَمَ وَأُمَّـهُ وَمَـنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًـا وَلِلَّهِ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا يَخْلُـقُ مَـا يَشَـاءُ وَاللَّهُ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ (17) المائـدة وَقَالَـتِ الْيَهُـودُ عُزَيْـرٌ ابْـنُ اللَّهِ وَقَالَـتِ النَّصَـارَى الْمَسِـيحُ ابْـنُ اللَّهِ ذَلِـكَ قَـوْلُهُمْ بِأَفْـوَاهِهِمْ يُضَـاهِئُونَ قَـوْلَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مِـنْ قَبْـلُ قَـاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُـونَ (30) اتَّخَـذُوا أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَابًا مِـنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِـيحَ ابْـنَ مَـرْيَمَ وَمَـا أُمِـرُوا إِلَّا لِيَعْبُـدُوا إِلَهًـا وَاحِـدًا لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ سُـبْحَانَهُ عَمَّـا يُشْـرِكُونَ (31)﴾ [التوبـة]، وإني لأرجـو الله تعـالى أن يكـون الـدكتور القرضـاوي قـد تراجـع عـن هـذا الكـلام المعيـب في حقـه كعـالم مـن علمـاء المسـلمين، ومـا لجـأت إلى إيـراد مثـل هـذا

الكلام إلا لأبين أن القضية أكبر من قضية رأي أفراد من الحركة أو حتى قيادات لا يجدون غضاضة في التعاون مع الغرب والتحالف معهم، فما يجب فهمه حول هذا الموضوع وما نريد أن نبينه هنا أيضا هو أن هذه المواقف التي اتخذتها بعض فروع الإخوان في العالم كالإخوان في العراق وأفغانستان في تعاونهما مع المحتلين ليست مواقف فردية كما يصور البعض، إنما هي في حقيقة الأمر توجه فكري جديد تتبناه الحركة وتؤيده، هذا التوجه يستند إلى منظومة فكرية لها أصولها ولها منظريها ودعاتها، فلا يصح بعد هذا أن ندافع عن موقف أحد من هؤلاء أو حتى أن نبرئ ساحة الجماعة طالما وهي تدعم هؤلاء وتتبنى الكثير من أفكارهم كما سأوضح بعد قليل، لقد كانت هذه الآراء فاتحة شر وتوطئة لخيار التعاون مع الغرب ومرجعية شرعية تستند عليها الجماعة لتبرير تحالفها معهم والأمر ليس غريبًا ولا عجيبًا كما قد يتوهم البعض، فقد شهدت السنوات الأخيرة تعاونًا ملموسًا بين الأمريكيين تحديدًا وعدد من القيادات ذات الأصول الإخوانية في بعض الدول مثل رباني وعبد رب الرسول سياف ومحمد فهيم في أفغانستان، الذين قادوا تحالف الشمال جنبًا إلى جنب مع القوات الأمريكية الغازية وكذلك رجب أردوغان وحزب العدالة والتنمية [37] في تركيا، الذي يمثل العمود الفقري في مشروع الشرق الأوسط الكبير والذي تشارك حكومته بمئات الجنود في حلف النيتو التي تدك أفغانستان وتقتل المسلمين هناك ومازال كثير

(37) للإطلاع على المزيد من مخازي هذا الحزب انتظر بحثنا المشار إليه.

من الناس كذلك يذكر فتوى الدكتور القرضاوي بجواز قتال المسلم الأمريكي تحت لواء الجيش الأمريكي الكافر للطلبانيين الأفغان[38].

ولكن قمة التعاون والعلاقة مع الغرب تتجلى أكثر في موقف الإخوان من احتلال العراق حيث كان الإخوان المسلمين في العراق من أوائل القوى السياسية العراقية المنخرطة في مشاريع الاحتلال منذ ما قبل الغزو بدءًا بالمؤتمرات التي عقدت في عدد من العواصم الأوربية لتهيئة الأجواء الملائمة للاحتلال وترتيب مرحلة ما بعد صدام ومرورًا بمجلس الحكم الذي شكله الاحتلال وكان للإخوان فيه عضوين هما محسن عبد الحميد مراقب الإخوان المسلمين في العراق وصلاح الدين بهاء الدين وانتهاء بمشاركتهم في التشكيلات الحكومية المتتالية التي شكلها الاحتلال حيث تبوأ عدد من رموز الإخوان رئاسة الجمعية الوطنية "مجلس النواب" كان أولهم حاجم الحسني ثم محمود المشهداني وأخيرًا أياد السامرائي بالإضافة إلى عدد من الوزارات ونيابة رئاسة الجمهورية الذي يحتلها طارق الهاشمي وكلها مناصب شكلية لا تؤثر في عملية صنع القرار التي يسيطر عليها الأمريكيين والأحزاب الشيعية وبهذا الفعل منح الإخوان الشرعية الكاملة للاحتلال ودخل "الحزب الإسلامي" مع المحتل وأذنابه في لعبةٍ قذرة، منذ الخطوة الأولى في سلسلة خطوات توطيد الاحتلال وطمس الهوية العراقية

(38) هذه الفتوى وقَّعها : (الدكتور يوسف القرضاوي، محمد سليم العوَّا، طارق البشري، هيثم الخياط، فهمي هويدي وكلهم من الإخوان). وقد ذكر فهمي هويدي الفتوى والموقعين عليها، في مقاله المنشور في جريدة "الشرق الأوسط" الصادرة بتاريخ 2001/10/08م

الأصيلة، فدخل الحزبُ مجلس "بريمر"، ثم حكومة علاوي، التي مارس خلالها ممارساتٍ يندى لها الجبين لا تنسجم مع توجّهاته أو عقيدته أو أيديولوجيته الإسلامية المعلَنة، ولا مع أهداف الإسلام العظيم الذي يزعم تبنّيه. وقد شاهدنا ذلك ولمسناه بوضوحٍ مندهشين، في الفلوجة أثناء اجتياحها أكثر من مرة، والذي قام فيها الإخوان بدور المنقذ لقوات الاحتلال بعد إن وقعت في براثن أبي مصعب الزرقاوي وجنوده وهو ما كشفه أحمد منصور المذيع في قناة الجزيرة في كتابة "خفايا معركة الفلوجة وهزيمة أمريكا في العراق " وأكده محمد الراشد في مذكرة نشرها موقع الإسلام اليوم[39] وكذلك ظهر الدور القذر للإخوان في سامراء أثناء العدوان عليها أكثر من مرة، وفي غيرها من الوقائع والحادثات... إلى أن أسفرت اللعبة عن وجهٍ بالغ السوء لهذا الحزب حيث انحاز إلى العدو المحتل وأذنابه من الحكومة الفارسية وتشكيلاتها ومؤسساتها، حيث قامت الأذرع العسكرية للإخوان بعد أن عصفت بقيادتها الخلافات بسبب ما يقدمه المحتل من فتات الدنيا الفانية كثورة العشرين وحماس العراق وجامع بالتسابق أيهم يحوز رضاء سيدهم المحتل حتى وصل بها المطاف في النهاية إلى الوقوف جنبًا إلى جنب مع المحتل وأصبحت الطليعة لقوات الاحتلال التي تُهلِك الحرث والنسل في العراق، وتَسحق الزرع والضرع على رؤوس الأشهاد حتى زكاهم القادات العسكرية المحتلة، فقال

([39]) لمزيد اطلاع انظر "سنوات الجمر" دراسة ملخصة عن سنوات الاحتلال في العراق للصحفي /عبد الإله حيدر شائع.

القائد الأمريكي في بعقوبة المسمى "سلفر لاند":"إن كتائب ثورة العشرين هي حرس بعقوبة، وعادةً يكونون هم الطليعةَ في قتالِنا للإرهابيين، ولدينا ثقةٌ كبيرةٌ بهم وبقادتهم،وسوفَ نعملُ على إدخالِهم في الشُّرطة والجيشِ العراقي"، وهم في الحقيقة؟ "حماس العراق أو الكتائب سابقاً"[40]..، وقد أعلن إخوان العراق عن تأييدهم لما يسمى بدستور العراق، ودعوا الشعب العراقي لتأييده. برغم معرفتهم بعلمانية الدستور وإقصائه للشريعة الإسلامية وأنه ينص على تقسيم وفيدرلة العراق، وقد كان موقف حركة الإخوان في مصر موقف المساند لإخوان العراق فهذا مأمون الهضيبي المرشد العام للإخوان حينها يؤيد دخول إخوان العراق في مجلس الحكم الذي شكله الاحتلال، ففي رده على سؤال حسين عبد الغني مدير مكتب الجزيرة في القاهرة حول الحضور المكثف للإخوان في مجلس الحكم الانتقالي؟! وهل يتناسب هذا مع شعاراتِ رفضِ الاحتلال التي يرفعها الإخوان المسلمون؟!.

أجاب الهضيبي: إنهم قيادتان فقط! والباقي غير محسوبين على الإخوان المسلمين! ولقد حاول المذيع أن يأخذ من الهضيبي تصريحًا بإدانة المجلس فلم يستطع، فقال المذيع: هل ستطالبهما بالانسحاب من المجلس؟ فيرد بالنص: "أنا لا أطالب بشيء الآن، الآن هم يُتركون لكي يأخذوا فرصتهم، ويشوفوا إيه الأوضاع..." : فيرد عليه المذيع بتضجر قائلا :"يعني هذا الموقف يا سيادة المستشار حتى أقل من موقف

(40) سنوات الجمر /عبد الاله حيدر شائع.

الأزهر الشريف، الذي تعتبرونه أو يعتبره بعضكم مواليًا للدولة أو مؤسسةً تأتمر بأمر الدولة، هناك فتوى من الأزهر الشريف تُحرم التعاون مع المجلس الانتقالي لأنه شُكِّل بموافقة قوات الاحتلال، يعني خُلِق ليكون مواليًا لأعداء الله وأنت لا تريد أن تدين الدكتور محسن أو السيد بهاء الدين؟! الذين انضموا إلى المجلس رغم أنك تعلم أنهم لا يستطيعون أن يُبرموا شيئًا إلا بأمرٍ من حاكم العراق الأمريكي؟!)[41].

وإذا كان هذا هو الموقف الرسمي للقيادة المركزية للإخوان في العالم فلا غرابة أن يأتي موقف الإخوان في اليمن متوافقًا مع هذه المواقف أو أكثر تساهلا! فكل أعضاء الإخوان في اليمن لا يزالون يذكرون التعميم الذي أصدرته الأمانة العامة لحزب الإصلاح الواجهة الحزبية للإخوان في اليمن والذي يقضي بتأييد إخوان العراق في مواقفهم هذه، ويلزم أفراد الحركة في اليمن بعدم الانجرار خلف أي توجهات أخرى وقد اضطلعت صحف الإصلاح بدور محوري وهام في خدمة هذا التوجه...

وليت أن الأمر توقف عند هذا الحد وإنما صاحب ذلك الزيارات المتبادلة والمتكررة للسفارة الأمريكية والمعاهد والمراكز التابعة لها وإقامة مآدب الغداء والعشاء وحفلات الاستقبال والتوديع، وقد كانت قيادة الإصلاح في طليعة المستقبلين للسفير دموند هول في زياراته المكوكية لمعظم المحافظات اليمنية، وكل هذا انعكس على موقف الإصلاح من التحاور مع الغرب، فما إن أطلق الغربيون دعوتهم للحوار مع من

(41) انظر الحوار كاملا على موقع الجزيرة نت .

أسموهم بالمعتدلين من الحركات الإسلامية إلا وكانت قيادة الإصلاح من أوائل الأحزاب الإسلامية ترحيبًا بها ولقد كان هذا الترحيب الإصلاحي صدمة لتطلعات وآمال كثير من الشباب المسلم الغيور وخصوصًا أعضاء الإصلاح ومبعث قلق في الوقت نفسه لدى كثير من الكتاب والساسة وعلى رأس هؤلاء الرئيس الذي أصبح من المؤكد لديه بأن قيادة الإصلاح تسابقه بالفعل للحصول على الرضا الأمريكي وتقدم نفسها بديلًا عنه، وقد أبدى حزب المؤتمر الحاكم والرئيس علي عبدالله صالح تحديدًا انزعاجًا شديدًا من العلاقة المتنامية بين الإصلاح والولايات المتحدة ممثلة بسفارتها في صنعاء، عبر عنها أكثر من مرة في خطاباته التي تناول فيها المعارضة ومنها قيادات الإصلاح، واصفًا إياهم بالمتسكعين على أبواب السفارات الأجنبية[42].

وقد استغل الحزب الحاكم هذا الموقف للتشنيع على حزب الإصلاح من خلال العديد من المواد الإعلامية في صحفه ومواقعه الإلكترونية، والتي وصفت هذا الترحيب الإصلاحي بالمؤامرة والخيانة! ما جعل قيادة الإصلاح توعز لأحد رموزها الإعلامية بالدفاع عن موقفها هذا فكتب أحد رموز الإصلاح الإعلامية ورئيس تحرير صحيفة الصحوة السابق سلسلة مقالات في صحيفة الصحوة بعنوان "الحوار بين الغرب والحركات الإسلامية" صبّ فيها جام غضبة على المشنعين على

(42) خطابات رئيس الجمهورية موقع التوجيه المعنوي للقوات المسلحة .

الإصلاح والمنتقدين له في حواره مع الغرب ومنها هذا المقال الذي يحمل عنوان، "لكي يكون حوار من أجل الأمة"، سننقل منه المقتطفات التالية لنرى مدى الإسفاف والتخبط الذي يمارسه هؤلاء على رؤوس الأشهاد، يقول الكاتب:

"ما يثير الحزن ليس مواقف أنظمة عربية غارقة في الاستبداد والشمولية بل مواقف بعض وسائل الإعلام الرسمية في بلادنا التي صورت الترحيب الإصلاحي بالدعوة الأمريكية الأوربية إلى الحوار وكأنه خيانة ومؤامرة وخروج على الثوابت الوطنية والإسلامية".

"وكما كانوا يقولون هل أسلم الاشتراكي أم كفر الإصلاح ؟ هاهم الآن يقولون هل اهتدت أمريكا أم ضل الإخوان ؟ ولو كانوا منصفين مع أنفسهم صادقين مع سلطتهم المؤتمرية لفرحوا بأن الغرب يدعوا إلى الحوار ..فلا يوجد في اليمن ما يستدعي أن ينزعج المؤتمريين من الدعوة الغربية إلى الحوار والترحيب بها .. فالتجمع اليمني للإصلاح ليس غريبًا في المجتمع اليمني، والحوارات بينه وبين الأمريكيين والأوربيين الرسميين وغير الرسميين قائم منذ زمان!!".

"ليس من المعقول أن يحجر الإخوة المؤتمريون على الآخرين الاتصال بممثلي الدول الأجنبية ووفودها الرسمية وغير الرسمية .. فطالما أنها تهيئ نفسها للوصول إلى السلطة ديمقراطيًا فمن حقها أن تقيم علاقات وحوارات مع الدول التي تقيم علاقات مشروعة مع بلادنا".

"ألا فليفهم الجميع أن الوطنية ليست حكرًا على أحد، وهؤلاء الذين يشككون في وطنية الإصلاح لأنهم يتحاورون مع الأمريكيين والأوربيين هم أنفسهم متهمون عند المؤتمر بأنهم يسيئون لوطنهم من خلال مراسلتهم الخارجية وبعضهم يندد بالإصلاح متهما له بأنه يتردد على أبواب السفارات الأجنبية وهو نفسه كان إلى قبل سنوات قليلة جدًا يعمل في خدمة مخابرات أجنبية للإضرار ببلده ".[43]

هكذا كان دفاع هذا الكاتب عن قيادته في حوارها مع الغرب، وفي تقديري إنه دفاع ساذج وتبرير مفضوح وذرًا للرماد في العيون لسبب بسيط جدًا وهو كيف يكون هذا حوارًا من أجل الأمة ؟ والأمة تذبح وتدمر ويهتك عرضها على يد من تعد الحوار معهم من أجلها ! أتدري في هذا الوقت الذي تتبجح فيه بهذا الكلام ما صنع الغرب وماذا فعل جنودهم في العراق.

في هذا الوقت اغتصبت عبير الجنابي، تناوب عليها خمسة ممن تعتبر التحاور معهم من أجل الأمة، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بحرقها ووالديها بعد أن ربطوهم وكمموا أفواههم.

في هذا الوقت أيها الكاتب الذي تدعو الناس فيه للفرح لقبول الغرب بالحوار معك ومع قادتك، قام جنود الاحتلال الأمريكي والبريطاني في كل أنحاء العراق – تقريبًا – وبصفة شبه يومية – بارتكاب عشرات الآلاف من جرائم التعذيب

(43) صحيفة الصحوة العدد(973) الخميس 12/مايو/2005م

الوحشي للسجناء العراقيين، واغتصاب النساء، بل والاعتداء الجنسي على الرجال والأطفال أيضًا تحت تهديد السلاح. ويتم التعذيب المروع بكل ما لا يتخيله حتى الشيطان، ومنها العصي المكهربة والسياط والكلاب البوليسية وهتك العرض والاغتصاب اليومي والتعليق من الأيدي والأرجل كالذبيحة وإطفاء السجائر في الفم والدبر.

في هذا الوقت كانت الطائرات والبوارج الحربية الأمريكية تقصف معظم المدن والقرى الأفغانية عشوائيًا، حيث دفنت مئات الألوف من سكانها أحياء تحت الأنقاض، فضلاً عمن مزقتهم القنابل والصواريخ " الذكية " المزعومة، وما هو إلا " الذكاء الإجرامي" في تحويل أجساد الأطفال والنساء والعجائز إلى أشلاء لا سبيل إلى التعرف على هوية أصحابها!!

في هذا الوقت تم تسليط الكلاب المدربة على التهام الأعضاء الذكرية لـ 300 معتقل في سجن أبو غريب بعد فتح أرجلهم عنوة عبر قيود حديدية في أيديهم وأرجلهم مثبتة في الحائط ووفاتهم على الفور.

في هذا الوقت ظهرت الجريمة البريطانية التي ارتكبها بعض العلوج البريطانيين في حق أطفال صغار ضربوهم بوحشية حتى الموت، بعد أن استاقوهم إلى ملاذ ظنوه آمنًا من العيون، فإذا به يظهر الفضيحة البشعة على رؤوس الأشهاد ليراه العالم كله.

في هذا الوقت الذي تتحاورون فيه مع الغرب يا قيادة الإصلاح تم إجبار المعتقلين على اللواط والإتيان بحركات جنسية مهينة وهم عراة ليتم تصويرهم على أنهم همج، ودهسهم أحيانًا بالأحذية العسكرية على الرأس والرقبة والأماكن المجروحة، وتقييد بعضهم وربطهم بالأسرة وهم عراة وحرمانهم من الطعام الشراب لساعات طويلة، وتعليق البعض منهم لعدة ساعات لإجبارهم على الإدلاء باعترافات كاذبة، والتبول على أجساد بعضهم العارية وجراحاتهم، ووضع حبال حول رقاب بعضهم وجرهم بها كالكلاب، وحلق رؤوس عراقيات وضربهن وإجبارهم على المبيت في الماء وعلى عدم النوم والوقوف لمدد طويلة أحيانًا ووفاة العديد منهن بعد اغتصابها أو اغتصابه.

في هذا الوقت كان جنود أمريكان قد طلبوا من امرأة عجوز أن تمشي على هيئة حمار وركب أحدهم على ظهرها، وفيه تم إدخال سجينات عراقيات عاريات على سجناء عراقيين عراة كذلك، وفيه أيضا تبول بعض البريطانيين على وجه سجين عراقي مغطى الرأس.

وفي هذا الوقت كان مصرع 60 طفلاً عراقيًا بعد تقطيع أطرافهم أمام أمَّهاتهم في سجن "أبو غريب"، وكذلك وفاة العديد من النساء العراقيات بالصدمة بعد إطلاق الكلاب للتحرش الجنسي بهن.

وفي هذا الوقت حدثت مأساة. فاطمة العراقية التي ذكرت في رسالة أرسلتها قبل أن تستشهد أنه في يوم واحد اغتصبت تسع مرَّات مع الإجرام في التعامل معها في

اغتصابها وإجبارها على التميع للعلوج الأمريكان في حالة اغتصباها، وهي تتأبى وترفض وكذلك الحال في قصة نور العراقية التي أرسلت رسالة قبل كتابة مقالاتك هذه بشهرين فقط تقول فيها "نرجوكم هاجموا السجن بكل ما تملكون من أسلحة... دمروا السجن واقتلونا معهم (مع الأمريكين)... بالله عليكم افعلوا هذا؛ لأن بطوننا امتلأت بأولاد الزنا".

وفي هذا الوقت التي تتحاور قيادتك مع الغرب وقبل كتاباتك هذه بأيام قليلة كشفت شبكة البصرة على الإنترنت النقاب عن وقوع 149 حالة اغتصاب حدثت داخل مساجد الفلوجة وحدها. حتى المساجد لم تسلم من نتنهم أخي الكاتب في الوقت الذي تتحاورون معهم من أجل الأمة !!

وفي هذا الوقت الذي تتحاور أنت وقادة حزبك مع الغرب حدثت واقعة مفادها أن الجنود الأمريكيين قاموا بفتح أبواب دار للأيتام، وطُلب من الأطفال الخروج منها، قبل أن يقوموا باغتصابهم، حيث سجلت 75 حالة اغتصاب لفتيات وأطفال صغار، و80 حالة اغتصاب لبالغين . وحتى لا تتهمني بالمبالغة فأكثر هذه الحوادث والانتهاكات ذكرتها منضمات حقوقية غربية وعربية بل أن لدى جريدة نيويورك تايمز الأمريكية ما يزيد على ألف صوره بشعة عما تم اقترافه في حق شعبنا المسلم في العراق، وهذا جزء من 100 ألف حالة تعذيب أكدتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان وأظهرتها عدسات الكاميرات وتناقلتها جميع وكالات الأنباء ووقف عليه

العالم كله، وما خفي كان أعظم، فماذا أقول بعد هذا !! ابعد كل هذا تأتينا قيادة الإصلاح لتقنعنا بأن حوارهم مع الغرب من أجل الأمة!!

أبعد هذا تدعونا قيادة الإصلاح للفرح بأن الغرب قبل - وبالكاد قبل- بالحوار معهم؟ أي أمة هذه التي يتحدثون عنها ؟؟ إني أسألكم بالله أي أمة هذه التي تتحاورون معهم من أجلها، أمن أجل أمة الإسلام ؟ لا ورب الكعبة، فأمة الإسلام يتمرغ أنفها أمام أعينكم في تراب أبو غريب وجونتنامو وبغرام، ولكن الأمة التي تتحاورون معهم من أجلها هي أمة الصليب وكفى، نعم أمة الصليب المظلومة في نظركم والمعتدى عليها في أيلول سبتمبر كما يقول قرضاويكم وهكذا لتظهروا لهم اعتدالكم وتسامحكم وحسن سياستكم، ولتعلموا أننا لن نقول هل اهتدت أمريكا أم ضل الإخوان ؟ ولكننا نقول بل ضلت أمريكا وضل الإخوان ! ووالله ثم والله ما لجأت أمريكا للتحاور معكم وفي هذا الوقت تحديدًا إلا لتمنحوا الشرعية لأفعالها البشعة في العراق وأفغانستان، وقد فعلتم مع الأسف ولن نعتب عليكم موقفكم هذا فإخوانكم في الضلالة – أعني الحزب اللا إسلامي العراقي – وقيادته المجرمة قد صنعوا ما هو أقبح وأشنع، وحسبي الله ونعم الوكيل، أعود فأؤكد فأقول أن مواقف قيادة الإصلاح التي اتخذت وظهر فيها الإصلاح كحليف للغرب لم تكن مواقف فردية لبعضهم بل هي في حقيقة الأمر جزء من توجه عام تقوده الحركة وتتبناه على مستوى العالم ؟؟؟ لم يقتصر دور الإصلاح على التعاون الإعلامي مع الولايات المتحدة في حربها على ما يسمى بالإرهاب من خلال تبني وجهة النظر الأمريكية في تغطية وتحليل الأحداث، كما ألمحنا إلى ذلك سابقًا، وإنما وصل حجم التعاون بين الطرفين إلى أن تقوم قيادة الإصلاح بتقديم

معلومات عن الوضع في البلد شملت جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وغيرها.

ففي الوقت الذي يعلن فيه النظام عن شراكته وتعاونه مع الإدارة الأمريكية في محاربة الإرهاب وعلى كافة الأصعدة، وبعد اعتراف الرئيس علي عبد الله صالح في برنامج بلا حدود على قناة الجزيرة في يوم 16/ 7 /2003م بأن المخابرات الأمريكية السي آي إيه فتحت لها فرعًا في صنعاء وكذلك المباحث الفدرالية الـ أف بي آي FBI، وإن كل ذلك تم بعلمه وموافقته، في هذا الوقت أو قبله بقليل كانت قيادة الإصلاح قد أصدرت توجيهاتها إلى كافة وحداتها التنظيمية بضرورة "جمع المعلومات" إذ أصبح بند "جمع المعلومات" مفردة ثابتة في المحاضر الأسبوعية بجميع الوحدات التنظيمية المختلفة، وكانت قيادة الإصلاح تبرر هذا العمل لأفرادها بأنها ستستفيد من هذه المعلومات باتخاذ قرارات تخدم العمل الإسلامي في البلد ولقد كان هذا الفعل مبعث قلق وتوجس لدى الكثير من الإخوان لاسيما الملتزمين منهم ومصدر تساؤل عن مشروعية هذا الفعل التجسسي وبرز تساؤل كبير لدى غالبية الإخوان إلى أين يذهب هذا الكم الهائل من المعلومات والذي يتم جمعها أسبوعيًا من جميع محافظات الجمهورية ؟؟ حتى خرجت علينا بعض وسائل الإعلام الغربية بما لم يكن في الحسبان! إذ اكتشفت صحيفة (الأندبندت) البريطانية الصادرة بشهر يوليو عام 2005م عن تواجد (50) عميلاً لـ أف بي آي FBI في اليمن ومهمتهم الرئيسية تكمن في تحليل معلومات استخباراتية مقدمة من أجهزة الأمن ومكتب عمليات مكافحة الإرهاب اليمنية.

وقالت شبكة (أيوراسيانيت) المعلوماتية الإخبارية الأمريكية والتي تتخذ من نيويورك مقراً لها: "إنه بالإضافة إلى المعلومات التي أوردتها (الأندبندت) فإن تحقيقات أف بي آي FBI لم تقتصر على المعلومات الأمنية والاستخباراتية المقدمة من أجهزة الأمن اليمنية فقط، بل تعدت إلى معلومات سرية تتحفظ عليها كل من الملحقيتين السياسية والثقافية في سفارة الولايات المتحدة بصنعاء وقالت (أيوراسيانيت) إن الملحقية السياسية والثقافية قد ساعدت سرية أف بي آي FBI في الوصول إلى بعض النتائج عن طريق تزويد السرية بمعلومات استخباراتية حصلت عليها من طريق نشاطات وتواصل معلوماتي مكثف بين السفارة وبين عناصر حزبية إسلامية معارضة وقومية، وأشارت (أيوراسيانيت) إلى أن عناصر من حزب إسلامي كبير معارض في اليمن يصفهم مسئولون أمريكيون في صنعاء بأنهم حداثيون ومعتدلون في أفكارهم، يقفون وراء كمٍّ هائل ونشيط من المعلومات الأمنية والاستخباراتية والسياسية والاقتصادية عن اليمن"[44].

ولا تسأل بعد هذا إن رأيت من الإخوان المسلمين من يسترق السمع سواء في المجالس العامة أو حتى في الأسواق لينزوي جانبًا ليكتب ما يسمعه من أخبار ليتباهى عند قيادته بما جمع من معلومات ولم يدر هذا المسكين بأن معلوماته هذه ستجد طريقها إلى السفارة الأمريكية بصنعاء بطريقة أو بأخرى.

ولهذا فلا غرابة أن تلتقي قيادة الإصلاح السفير الأمريكي الجديد لمرتين متتاليتين في غضون عشرين يوما آخرها لقاؤه برئيس الهيئة العليا للإصلاح محمد اليدومي وهو

(44) انظر صحيفة القدس العربي مقال للكاتب عبد الإله حيدر شائع.

اللقاء الذي عقد بالتزامن مع انعقاد مؤتمر قبائل بكيل الذي تقف خلفه قيادة الإصلاح إعدادًا وتنظيمًا – فقد كان رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر شخصية إصلاحية كبيرة هو رئيس شورى الإصلاح بالجوف برغم أنه لا ينتمي أصلا لقبيلة بكيل – وتريد قيادة الإصلاح أن تثبت من خلال هذا المؤتمر قدرتها على تحريك القبيلة اليمنية باعتبارها أهم مكونات المجتمع اليمني لاسيما قبيلة بكيل التي استطاعت قيادة الإصلاح إثبات مقدرتها حتى على تغيير قيادتها وتعيين رموزها وهي بهذا الفعل تريد أن تبعث برسالة إلى أكثر من جهة مفادها أن القبيلتين الكبيرتين في اليمن تخضع لسلطة الإصلاح، قبيلة حاشد من خلال أولاد الشيخ الأحمر ومعروفة هي مكانتهم في الإصلاح، وقبيلة بكيل من خلال قيادتها الجديدة وفي مقدمتها الشيخ أمين العكيمي عضو مجلس شورى الإصلاح وبهذا تثبت أحقيتها للداخل والخارج في ترتيبات المرحلة المقبلة ولي على هذا الحدث وقفات لاحقة بإذن الله.

.

دار غرب المتوسط
للنشر والتوزيع